# بعقوبــة مدينة البرتقــال والعبوات الناسفــة

صافي الياسري
تصوير:نهاد العزاوي

**بعقوبة أو ديالى ، كلمتان غير عربيتين فالأولى ذات جذر آرامي والثانية ذات جذر فارسي ولكنهما تدلان على مدينة عراقية عريقة ، هي مدينة البرتقال ، وهو رمزها وقد أضيفت له اليوم صورة عبوة ناسفة ، فبعقوبة لم تعد كما كانت سابقاً مدينة آمنة ، بعقوبة اليوم جرح ناغر وضمادة روح العراق الجديد بعقوبة اليوم.. مدينة المواجهات المسلحة والسيارات المفخخة والعبوات الناسفة.**

**في الطريق إليها قاطعتنا القوات الأمريكية مرتين واحدة عند (الجديدة) والأخرى عند (القصيرة)، والأولى ناحية (جديدة الشط) والثانية قرية تشتهر ببساتين الفواكه وتدعى مجموعة البساتين هناك (الكصيرية).**

وحتى الجسر حيث ينفتح الطريق يميناً إلى بعقوبة تستمر الدوريات الأمريكية في قطع الطريق، كذلك ينصب الجيش العراقي سيطراته مما يؤدي إلى ازحام العجلات بشتى أنواعها وهي تصعد قاصدة بعقوبة.

صباح بعقوبة مكتظ بعربات الفواكه والمواد الغذائية، فهي مدينة زراعية خصبة وتشتهر بالفواكه، وبرغم الوضع الأمني المتردي ما زالت (علاوي) المدينة الزراعية عاملة.

مبنى المحافظة مطوق بالدعامات الأسمنتية وتحرسه عناصر من القوات الأمريكية في حين يضطر المراجعون إلى أن يدلفوا إلى البوابة الخلفية في الفرع الأيمن، وهي باب لا تزيد سعته على متر واحد على مدخل المدينة من ناحية الخالص كتب . مدينة الأدباء ترحب بكم . وبعقوبة مدينة الأدباء فعلاً.

الاذاعية . هناء الداغستاني . سكرتيرة المحافظ رحبت بنا وأحسنت استقبالنا، وأجابت عن أسئلتنا برحابة صدر، واتصلت بقائممقامية الخالص لتيسير مهمتنا، في الوقت الذي نصحنا فيه بعض موظفي المحافظة بعدم زيارة عدد من احياء المحافظة وقصباتها، وكان ذلك في الحقيقة حافزا دفعنا بقوة لزيارة هذه الاحياء والقصبات مما اجبرنا على دفع ثمن مجازفتنا ساعات من الحبس في معسكر سعد نفذته مجموعة من المراهقين.

### معسكر سعد

هو واحد من أهم معسكرات الجيش العراقي ويمسك بأحد أهم عروق الدفاع عن العراق في (البوابة الشرقية) ومدخل شمال العراق الشرقي على مشارف الحدود العراقية الايرانية، وهو كذلك احد المواقع اللوجستية للجيش العراقي، أو المخزنية، كما انه احدى الساحات التدريبية للقوات الخاصة، ويشغل مساحة تزيد على ٢٠ كيلومتراً مربعاً، وتحيط به بيوت الضباط والمراتب العاملين في المعسكر ، ما زالوا جميعاً يسكنون نفس الدور، وهم عاطلون عن العمل اليوم، ويشكلون بيئة ذات نفس عدائي للعراق الجديد تماماً كما هو الحال مع العوائل التي طردت من المحافظات الشمالية واضطرت إلى السكن في خرائب المعسكر التي اصلحتها احدى المنظمات الإنسانية الدنماركية، وزودتها ببعض المستلزمات السكنية، وبالامكان مشاهدة خزانات الماء على أبواب الخرائب العسكرية تملؤها يومياً صهاريج تلك المنظمة الدنماركية التي استأجرت احدى الدور في مدينة بعقوبة، وقامت بمساعدة ثلاثين ألف عائلة من النازحين بحسب احصائها تم اسكانهم في عدد من دوائر الدولة المهجورة وملعب الإدارة المحلية الذي نصبت في ساحته مجموعة من الخيام، وكذلك تم تقطيع قاعات منام الجنود واسكان العوائل فيها، يقول مختار المعسكر محمد المنديل: هم لم ينتظروا قرار الحكومة، ولم ينفذوا تعليمات رسمية حين طردونا من دورنا التي خصصتها لنا الدولة في مصفى الوند في خانقين وجلبوا جرافات قامت بتسوية هذه الدور بالأرض ووزعوها على اتباعهم، كانت دوراً بنتها الحكومة لاسكان منتسبي المصفى ولم نغتصبها من احد، إذا رايت جواً عدائياً في المعسكر فلا تلم احداً، نحن هنا محرومون من جميع الخدمات، وفضلاً عن طردنا من دورنا وحرماننا من وظائفنا، فان أولادنا بلا مدارس وليست لدينا كهرباء والشكر للدنماركيين الذين يزودوننا بمياه الشرب يومياً وهي في معظم الاحيان غير صالحة للشرب، ويبيعها علينا السواق، وقد استنفدنا اشجار المعسكر التي صرنا نستخدمها كوقود فظروفنا العسيرة لم تسمح لنا بالحصول على قناني الغاز او النفط الأبيض، وبالرغم من كثرة شكاوانا فان مجلس المحافظة لم يعرنا أي اهتمام، وقد أصيب لنا عدة أطفال بذخائر والغام الجيش المبثوثة، في أماكن مجهولة في ساحات وحدائق وخرائب المعسكر، ونحن نفتقر إلى الخدمات البلدية والرعاية الصحية، وانتم تعلمون ان ذلك يخلق مناخاً اجتماعياً غير سليم وبخاصة بين الشباب والمراهقين الذين حرموا من الدراسة وحرموا من فرص العمل ووسائل التسلية مما يجعلهم صيداً سهلاً لعصابات الانحراف والإرهاب نحن نشعر إننا كم مهمل وان وطننا العراق لم يعد يحفل بنا. الكلام الذي قاله مختار معسكر سعد سمعناه في المقدادية حيث شبه احدهم وضع العوائل هناك بأنها تشبه مشية الغراب الذي أراد ان يقلد مشية الحمامة فنسي مشيته، فالعوائل هنا كلها جنوبية الانحدار وقد نزحت من مناطق استيطانها في الشمال لكنها لم تعد إلى الجنوب ولهذا يشعر افرادها بالضياع، ويتساءلون هنا جميعاً، كيف سنواجه الشتاء؟ أين حكومتنا منا؟

إذا كانت قد تبرأت منا فسوف نتبرأ منها.

ومهما كانت مرارة الكلمات التي تسمعها هنا، فانك تشعر ان أصحابها يستحقون ان تسمعهم وان تتعاطف معهم، فهم قبل كل شيء وبعد كل شيء عراقيون.

### هموم القرى حول بعقوبة

تترك احياء بعقوبة الساخنة ومنها حي التحرير وتتجه إلى حي الجاهزة في طريقك إلى بهرز، وبهرز واحدة من أجمل مدن العراق بساتيناً وأكثرها خضرة ونظارة، وعلى كل خط سيرك يخبرك السكان أنهم تعرضوا لاعمال دهم وان الدوريات الأمريكية هنا تتعرض باستمرار لمواجهات مسلحة وعمليات تفجير عبوات ناسفة، وهنا تتذكر أيضاً خمسين شاباً من الحرس الوطني تم ذبحهم العام الماضي بينما كانوا عائدين من معسكر لهم في اجازة، وخلال هذه الجولة تعرضت منطقة المطار إلى قصف بالهاونات، وقال السائق انها تأتي من جهة قرية السادة وهذه القرية تتعرض باستمرار لمداهمات القوات الأمريكية وهي متهمة بايواء الجماعات المسلحة وكثيراً ما عثر فيها على ذخائر واسلحة وتم اعتقال العديد من سكانها بتهم مختلفة، ويقول بعضهم انها تهم كيدية، فثمة من يسرب للأمريكان معلومات مغلوطة، في حين يقول ضابط شرطة عراقي طلب عدم ذكر أسمه، انها معلومات صحيحة ومن مصادر موثوق بها، فقد نجحنا في تكوين شبكة استخبارية قادرة على تزويدنا بالمعلومات التي نحتاجها، وبالأمس عثرنا في ناحية الوجيهية ٣٠ كم شرق بعقوبة على ٤ صواريخ نوع (تاو) وصاروخين من نوع (ستريلا) وكل هذه الصواريخ كانت موجهة إلى مركز المحافظة، كما عثرنا في ناحية العبارة على مخزن للذخيرة وعدد من قاذفات الـ(أر. بي. جي) سفن والقينا القبض على عدد من المشتبه بهم في قرية المخيسة.

وأضاف الضابط جواباً على سؤالنا حول دور وجهاء القرى وشيوخ العشائر في تجنيب مناطقهم وقراهم مخاطر التعرض المسلح للقوات المتعددة الجنسيات والجيش العراقي والشرطة العراقية.

يحاول عدد من الوجهاء وشيوخ عشائر المنطقة تجنيب قراهم ما تجره عليها تلك العمليات التعرضية التي تستهدف القوات المتعددة الجنسيات والشرطة والجيش العراقي، وهم يؤكدون لنا في لقاءاتنا معهم، تعاونهم ويذكرون ان اغلب العناصر المسلحة الناشطة في المنطقة هي ليست من سكانها، وهي تستغل جغرافية المنطقة للاختباء والحركة ويزيد الامر سوءاً الاغلاط التي يرتكبها الأمريكان في تعاملهم مع سكان المنطقة، فهم لا يحترمون خصوصيتها وعاداتها وتقاليدها، فقبل ثلاثة أيام تم جرف ثلاثة بساتين عامرة في قرية السادة النعيم من قبل القوات الأمريكية بذريعة انها تؤوي عدداً من المسلحين وان دورية أمريكية تعرضت للقصف من بين اشجارها.

ويقول عدد من شيوخ العزة والعبيد والبوهيازع ان ابرياء كثيرين ساقتهم القوات المتعددة الجنسيات إلى المعتقلات بسبب من اخبارية كيدية وانهم لا يجدون سبيلاً للحوار مع هذه القوات حول هذا الموضوع، فثمة أصحاب بساتين واراض زراعية اعتقلوا لأن عناصر مسلحة استغلت بساتينهم وأراضيهم وشنت منها هجمات مسلحة على القوات الأمريكية، واكد هؤلاء الشيوخ أنهم راجعوا كبار ضباط الجيش الأمريكي حول هذا الموضوع، وان هؤلاء أكدوا لهم انهم يجرون مع هؤلاء المعتقلين التحقيقات اللازمة وحين يتأكدون من براءتهم يطلقون سراحهم، لكن ما يشغل بال هؤلاء الشيوخ، هو طول مدة التحقيق التي تستمر أشهراً دون السماح بمقابلة المعتقلين أو معرفة مكان اعتقالهم.

ويتحدث سكان قرى السادة وأسود عن مداهمات ليلية تثير الرعب في نفوس الأطفال والنساء فالجميع يقف مذهولاً أمام أسلوب تنفيذ المداهمة.

بينما يتحدث آخرون عن العنف المسلح ضد السكان الذي تمارسه بعض الجماعات لإجبارهم على التعاون أو غض الطرف أو ايتاء الاتاوات، وبين المطرقة والسندان في هذا الظرف العصيب فان المواطن المسالم هو الضحية دائماً.

### الخالص وما حولها

على طريق السندية شمال الخالص والى الشرق باتجاه سامراء ديار عشيرة البوحشمة وهذه العشيرة يتهمها الشرطة والأمريكان معاً بأنها تسعى إلى زعزعة الأمن في المنطقة، ويقول كبار العشيرة ان عدداً كبيراً من شباب العشيرة تم اعتقالهم، وانهم كفوا عن المراجعة بشأنهم بعد ان تأكد لهم ألا فائدة من مراجعتهم، وهم يقولون ان القوات الأمريكية تنفذ مداهمات في ضوء معلومات استخباراتية تعدها شبكة من المخبرين المحليين الذي نجحت في تجنيدهم من سكان المنطقة، وهذه القوات حين تعتقل شخصاً فانها لا تفرج عنه إلا بعد تحقيق مطول، ولا ينفي هؤلاء ان القوات الأمريكية تتعرض في مناطقهم لعمليات مسلحة، لكنهم يقولون ان رد الفعل الأمريكي على هذه العمليات مبالغ به وتعوزه الحكمة، ويدعون الأمريكان إلى الحوار وتفهم خصوصية المنطقة وتقاليدها العربية وثقافتها القائمة على الاعتداد بالكرامة الشخصية ووضع المرأة الخاص في ثقافة الفرد والعشيرة.

### سكراب.. سكراب..

كنت أظن ان موجة (الحواسم) قد انتهت، وان الحديد (السكراب) لم يعد يغادر باتجاه دول الجوار، لكن ظني لم يكن صائباً فها أنا عند نقطة التفتيش في ساحة الخالص أراقب عدة شاحنات متجهة إلى إيران وهي محملة بالحديد (السكراب)، وقد يقول أحدهم وماذا في ذلك انه ليس أكثر من سكراب، وهذه هي الصورة الظاهرة، لكن استمرار تدفق هذه السكراب إلى الدول المجاورة عبر العديد من المنافذ الشرعية وغير الشرعية وبهذا الزخم جعل السؤال الملح حول حقيقة هذا السكراب يبرز بقوة ويفرض نفسه متطلباً اجابة منطقية.

والمعلومات التي توفرت لنا حول تلك الشاحنات التي اوقفتها نقطة تفتيش الخالص. تم تمريرها بطريقة غير معروفة لا نستطيع ابعادها عن شكوك لها امتدادها الواقعي في سوابق لمسناها لمس اليد عن تهريب العديد من السلع واللوازم والاجهزة إلى دولة مجاورة.

الذين استمعوا إلى اسئلتنا من المسؤولين في أجهزة الشرطة على الطريق المتجه شمالاً الى بعقوبة ومن ثم المنافذ الحدودية مع إيران يؤكدون ان تلك الشاحنات تحمل اوراقاً رسمية موثوقة ابتاع التجار بموجبها هذا (السكراب) من دوائر الدولة وهم يصدرونه بموافقات رسمية إلى إيران وعلى هذا فهم في موقف سليم من الناحية القانونية وهكذا لم يعد الحديث عن عدد الشاحنات وكمية الحديد المصدرة إلى إيران امراً مهماً كما تصورنا فقد مرت قبلها مئات الشاحنات وعبرت آلاف الأطنان بعد ان غيرت طريقها ولم تعد بها حاجة إلى وساطة المحافظات الشمالية كما كان الأمر في بدء موجة الحواسم، فهي تتجه مباشرة من مفرق بعقوبة . الخالص . إلى (احديد) ثم خانقين ثم إلى المنافذ الحدودية الشرعية وغير الشرعية، وقد لاحقنا بعض هذه الشاحنات، وبعضها يحمل ارقاماً تخص دوائر معينة من دوائر الدولة، ولا يملك سواق هذه الشحانات سوى اجابة واحدة، انهم موظفون مأمورون! واحدة من قوافل الشاحنات هذه، المتجهة الى (احديد) في طريقها إلى إيران، كانت محملة باعداد كبيرة من مكائن الخياطة ولوازم معمل خياطة ضخم من المقصات الكهربائية وطاولات المكائن ولوازم التصميم والتجهيزات الأخرى الرئيسة والثانوية وحتى ما يمكن احتسابه اثاثاً ادارياً لذلك المعمل واجهزة التبريد والمراوح وبرادات الماء مغطاة بقطع من الخشب وبليتات الفافون أو القصدير، في حين حملت شاحنات أخرى بخزانات مياه كبيرة ومحولات كهربائية متوسطة وصغيرة فهل هذا سكراب؟

***من يسكن معسكر سعد الآن؟**

***أين استقر النازحون من خانقين؟**

***حي التحرير ومفارز الموت السرية**

### المنذرية منفذ العراق الشرقي

في محافظة ديالى ثلاث قيادات لقوات الحدود التابعة للشرطة أو لوزارة الداخلية وهي تلخص التقسيم الجغرافي لمنطقة الحدود في ديالى، هي قيادة المنطقة الوسطى وتشمل المنذرية صعوداً إلى زين القوس وقيادة المنطقة الشمالية وتمتد من برويز حتى دربندخان، والقيادة الجنوبية، وتمتد من نفط خانة حتى بدرة وجصان، وتشكل قاعدة هذه القيادات (١٠) مراكز شرطة حدودية تنظم فيما بينها دوريات لحراسة الحدود ومع ذلك فان منفذ المنذرية الشرعي يشهد يومياً مئات حالات التهريب، ومنها المخدرات فايران تعد مصدراً رئيساً في الشرق بعد افغانستان للمواد المخدرة ومكوناتها، وتمر يومياً عبر منفذ المنذرية مئات الشاحنات المحملة بشتى انواع البضائع، فمن أجهزة كهربائية إلى مواد غذائية إلى كتب قرطاسية، ومهما كانت عناصر الشرطة والكمارك والموظفين دقيقة في تفتيش المواد الداخلة إلى العراق فان كثرتها تسمح بمرور مواد ممنوعة، والمهربون في المدن الحدودية فنانون في ابتداع اساليب التهريب وخداع الشرطة والكمارك وبقية الأجهزة الأمنية في المكاتب الحدودية هذا إذا لم يتمكنوا من اقامة علاقات (صداقة) معهم تتضمن دفع رشاو أو هدايا كما يسمونها، وقد استعاد هذا المنفذ نشاطه بعد تعويضه ما نهب من اجهزته، كما زود بكوادر مدربة وألحقت بها عناصر نسائية منها سروة علي محمد ٣١ عاماً وسولاف صادق وفاطمة شاه وفي مكتب الجوازات ميسون رفيق وبيسان صالح التي تسكن منطقة كلار القريبة والخوست حميد التي تضطر أحياناً للمبيت في المجمع لاكمال واجباتها، وهن يشكلن واجهة عراقية حضارية بوجودهن في هذا المنفذ الحيوي.

وقد أثبت حراس الحدود إضافة إلى موظفي المكتب أنهم سيطروا بشكل كامل على ظاهرة التسلل في حدود محافظة ديالى، لكنهم يعترفون انهم لا يملكون أية صلاحيات للتعامل مع المتسللين وانهم يكتفون باعادتهم من حيث أتوا.

والملاحظ هنا هو عدم وجود الأمريكان وان المنفذ يدار بأيد عراقية ١٠٠٪، لكنه ما زال تنقصه بعض الأجهزة الالكترونية الحساسة اللازمة للفحص والتفتيش كذلك يلزمه العديد من الحاسبات والفنيين المتخصصين في شؤونها، وفي مواجهة الكثافة العددية لحراس الحدود من الإيرانيين يبدو عدد حراس الحدود العراقيين ضئيلاً.

ويقول سكان القرى المجاورة ان هناك عشرات المنافذ إلى إيران فالجيش العراقي السابق في أثناء الحرب العراقية - الإيرانية شق عشرات الطرق إلى داخل إيران وهي تستخدم الآن في عمليات التهريب بالتواطؤ مع حرس الحدود الإيرانيين الذين لمح لنا البعض أنهم يتقاضون لقاء ذلك مبالغ طائلة، قبل ان أودع المدينة الخضراء فتاة خريسان العذبة تذكرت ذلك الدارمي العراقي الذي كتبته الشاعرة المبدعة لميعة عباس عمارة:

هي يا نهر جنك برد جنة
صفصاف شعري هدل وبميك اتحنه

### ملاحظة أخيرة

أود ان أشكر السيد هانز نيومن رئيس منظمة الاغاثة الدنماريكة على المعلومات التي زودني بها وكذلك الاحصائية التي قدمها لعدد العوائل النازحة إلى محافظة ديالى البالغ ثلاثين ألف عائلة منها سبعة آلاف عائلة في معسكر سعد، وكانت هذه المنظمة قد قدمت خدماتها لهذه العوائل وتضمن ذلك توزيع مواد غذائية، ففي البدء لم تتمكن هذه العوائل من الحصول على مفردات بطاقتها التموينية وكذلك بعض البطانيات وملابس الأطفال.